موسيقى

مسابقة الأغنية الأوروبية

أتت دورة العام الحالي من «يوروفيجن»، لتمنح أوكرانيا فوزاً ثالثاً، وتمنع روسيا من المشاركة. مع استمرار سعير المعارك شرق القارة الأوروبية، لم يشكّ أحد بأنه سيكون لفرقة كالوش، التي مثلت كييف في دورة العام السابق، الحظ الأوفر في التتويج

هل كان للأغنية أن تتوج بالفوز لولا الحرب؟ (ماركو بيرتوريلّو / فرانس برس)

«ستيفانيا» ودودة الأذن الأوكرانية

علي موره لي

عندما تُسنَد مهمة تحديد ما هو السياسي، في الأغنية، إلى «الاتحاد الأوروبي للبث الإذاعي»، مُعِدُّ مسابقة الأغنية الأوروبية السنوية «يوروفيجن»، منذ تأسيسها عام 1956، وأوروبا في حالة حرب مع ووسيا، لا باردة ولا ساخنة، وإنما فاترة في أوكرانيا؛ فإنه لا يعود مُستغرباً أن تفوز الأخيرة بأفضل أغنية لهذا العام.

اللافت أيضاً، أن أوكرانيا كانت قد فازت بمرتين سابقتين، من دون أن يُستثنى السياسي، عاملاً مباشراً أو مُضمراً، في أيّ منهما. في سنة 2004، استضافت العاصمة الأوكرانية، كييف، دورة المسابقة. استضافةٌ، أثمرت بفوز الدولة المضيفة عن أغنية «رقصات برية» (Wild Dances) للمغنية روسلانا. وإن بصورة غير مباشرة، تُمجّد الأغنية الروح الوطنية في وجه الرياح الجيوسياسية العاتية، عبر لوحة راقصة تُمثّل خطاباً يُسمع كسيفٍ ذي حدين. حدٌّ موجّهٌ إلى المظلة البائدة للاتحاد السوفييتي بعد انهياره والانعتاق منه نهاية القرن الماضي. وحدٌّ يوّجه رسالة تحدٍّ إلى مظلة القرن الجديد، الاتحاد الأوروبي، مفادها أن الهوية الأوكرانية مستقلة. ثم دورة عام 2017، عندما تربعت أغنية بعنوان 1944 على منصة الفوز. كتبتها وأدّتها المغنية الأوكرانية جامالا Jamala، واسمها الكامل سوزانا أليميفنا جمالادينوفا (Susana Alimivna Jamaladinova). حكت من خلالها عن مصير المجموعة الإثنية التترية التي عاشت في شبه جزيرة القرم، منذ القرن العاشر. زمانَ الحرب العالمية الثانية، شرع الزعيم السوفييتي، جوزف ستالين في ترحيلهم، وكان عددهم يقارب ربع المليون،

يلعب الجوق الجماعي الرجالي دوراً تعبوياً في «ستيفانيا»

بما يُنظر إليه اليوم كواحدة من فظاعات القرن العشرين. روسيا كانت قد اعتبرت الأغنية استفزازاً لها، وبمثابة رد فعل إزاء عمليتها العسكرية السرية سنة 2014، التي ضمت بموجبها إليها شبه جزيرة القرم، ما حدا بـ «الاتحاد الأوروبي للبث»، عندئذ، إلى إصدار بيان، نفى به أن تكون 1944 ذات مضمون سياسي. في حين وجهت جامالا، عند تسلمها الجائزة، كلمة تجنبت فيها توجيه رسائل سياسية، واكتفت بإعلاء شأن القيم الإنسانية من سلام وحب.

هكذا، أتت دورة العام الحالي الأسبوع الماضي، لتمنح أوكرانيا فوزاً ثالثاً، وتمنع روسيا من المشاركة للمرة الثانية. مع استمرار سعير المعارك شرق القارة، ومشاعر التضامن على امتدادها مع الشعب الأوكراني، لم يشك أحد بأنه سيكون لفرقة كالوش أوركسترا، التي سبق لها وأن مثلت كييف في دورة العام السابق، الحظ الأوفر في التتويج.

عند مستهل الأغنية التي قدمتها الفرقة بعنوان «ستيفانيا» (Stefania)، تصدح جوقة رجالية على مستوى صوتي مرتفع، تنشد غناءً شعبياً محلياً. يتجلى مفعول المقدمة بأنها لا تُمثّل الموروث الأوكراني فقط، وإنما تلمس أيضاً في تقاطعاتها الإثنو-موسيقية الأذن الأوروبية الجمعية، لجهة شرق القارة ووسطها، حيث يلعب النظام الموسيقي المقامي دوراً بارزاً في التقليد الغنائي واللحني. أضف إلى ذلك، طبيعة المقام المُستخدم، ألا وهو الهيبودوريان، نسبة إلى الأنماط الإغريقية، الذي يُطابق في أبعاده السلم المعدل الصغير، وعليه يغلب الطابع الموسيقي لغرب القارة.

ثم إن الجوق الجماعي، وعلى الأخص الرجالي منه، له خاصية تعبوية تنسجم مع عُبوة الأغنية. الأصوات متحدة، تُنشد في طباق نغمة واحدة، من دون نسيج انسجامي (هارموني)، يُمدد الزخم ويبدد الطاقة. تعلو الحناجر كما لو أنها تشحذ الهمم وتحشد للقتال. ليس على مستوى البلاد وحسب، وإنما أيضاً عموم الجمهور الغربي، الذي اصطف بغالبه إلى جانب الأوكرانيين، ولسوف يصوت نهايةَ المسابقة، ضمن أحد أوسع وأعقد نظم الاقتراع الذي خصصته إدارة «يوروفيجن» من أجل المسابقة.

بعامل المفاجأة، تنتقل الأغنية من الفلكلور إلى الراب. نقلة تُحفّز الجمهور وتعزز من المفعول التعبوي. لطالما عكس الهيب هوب والراب ثقافة احتجاجية، عن طريق خطاب عالي النبرة، هدفه تمثيل المعاناة لدى الفئة المُهمّشة أو المستضعفة، ومواجهة عنف القوة بعنف الكلمة. يُشبه نمط الراب المستخدم في الأغنية، من حيث سرعته وكثافته وإشباعه النصّي، ذلك الذي درج في بداية التسعينيات. المقطع المُغنّى يذكّر بأغنية «فردوس العصابات» (Gangsters Paradise)، من إصدار سنة 1995. عند ملاحظة آلة الجرس الإيقاعية القابعة في خلفية فقرة الراب، تخطر على الأذن أغنية «القوة» (The Power) لفرقة الراب الألمانية Snap! إصدار سنة 1990. أغنية تبدأ بمقطع صوتي إذاعي، يعود إلى الحقبة السوفييتية، مُلبّداً أجواء نهاية الثمانينيات بذكرى الحرب الباردة.

تُعيد أوركسترا كالوش وتكرر نشيد المقدمة باستمرار، تخترقه فواصل الراب، إما بصورة مُباغتة، أو من خلال قنطرة بنكهة الجاز، ترسمها آلة نفخ شعبية تشبه الناي. الأثر من ذلك مُتعمد ومدروس؛ هو أن تخلق الأغنية بفعل التكرار ما يُطلق عليه «دودة الأذن»، وما يُعرف علمياً بـ INMI، اختصاراً لعبارة «صورية موسيقية لا إرادية»، حيث يستمر سماع اللحن داخلياً في الدماغ، والجملة العصبية بشكل وسواسي، حتى بعد انقضاء مدة الاستماع إليها.

على الرغم من أن أعضاء فرقة «كالوش أوركسترا»، قد جهدوا في مدّ أغنيتهم بكل أسباب النجاح التي في جعبتهم الفنية، يبقى السؤال ما إن كان للأغنية أن تتوج بالفوز لولا الحرب؟ في عالم المسابقات وعروض البث الحي، ليس من السهل التكهّن، وإن بدت الأغنية للأذن النقدية شديدة التسطيح، تعتمد في أثرها على الشحن الحسي والتكرار اللحني، أكثر منه على التأليف الموسيقي والصدم الشعوري، أو الطرب. الأكثر وضوحاً إنما هو، أولاً، مدى حضور السياسي في «يوروفيجن». وذلك أمرٌ لم يعد يخفى على أي متابع لنشأة وتاريخ المسابقة. ثانياً، هو مدى القيمة الجيوسياسية والثقافية التي ما زالت تلعبها أوكرانيا في تاريخ الصراع بين غرب القارة الأوروبية وشرقها، الذي تعتبره روسيا مجال نفوذ تاريخي «يوراسي» لها. إن فوز «ستيفانيا»، من دون شك رسالة سياسية في أجواء حرب المرويات بين المحاور الإمبريالية القديمة والجديدة. أما الأغنية بحد ذاتها، فلعلها صرخة إثنو- قومية، تتطلع إلى انعتاق الشعب من الشرق ومن الغرب.

ماريوبول تنتظر

وفقاً لقواعد "يوروفيجن"، كون الفائز في المسابقة لهذا العام فريقاً أوكرانياً، يجب أن تُنظّم النسخة المقبلة من المسابقة في أوكرانيا. في هذا السياق، قال الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي إنّ مسابقة يوروفيجن 2023 يجب تنظيمها في ماريوبول "الحرّة والمسالمة والمُعاد بناؤها". لكنّ هذه المدينة أصبحت تحت سيطرة روسيا بالكامل مساء الجمعة، بعد حصار دام 3 أشهر.

أخبار

مساء الأحد المقبل، تقيم «دار الأوبرا المصرية»، على خشبة مسرح الجمهورية، في القاهرة، حفلاً تستعيد فيه مجموعة من الأغاني التي لحنها **بليغ حمدي** (الصورة)، لأم كلثوم وعبد الحليم حافظ ووردة الجزائرية، وغيرهم.

أعلنت «أوركسترا قطر الفلهارمونية»، أخيراً، عن عرض موسيقي ستقيمه يوم 28 مايو/أيار الجاري، عند السابعة والنصف مساءً، احتفالاً بـ «اليوم الأوروبي». يتضمن الحفل أعمالاً لـ شتراوس، وبوتشيني، وبيرليوز، و**فاغنر** (الصورة).

في كلّ من 26 و27 و28 من الشهر الجاري، تستضيف «دار الأوبرا السلطانية»، في مسقط، عرضاً يحمل عنوان «بلاي»، يؤديه فريق مسرح المسرح الرياضي، «**كاتاكلو**». يمزج العرض بين الأداء الدرامي الراقص، والموسيقى الكلاسيكية.

تحت عنوان «حبّك شباب على طول»، يستضيف «مترو المدينة» البيروتي، في 4 يونيو/حزيران، الفنان **نعيم الأسمر** (الصورة)، ليؤدّي أغنيتين للسيدة أم كلثوم، هما «جدّدت حبّك ليه» و«النوم يداعب عيون حبيبي».

تستضيف «ساقية الصاوي»، في القاهرة، عند السابعة من مساء اليوم، حفلاً لفرقة «**كايرو تيونز**». تؤدي الفرقة، بقيادة المايسترو، أحمد يونس، مجموعةً من الأغاني المصرية القديمة، إلى جانب أغاني التسعينيات.

كاميلا كابيو
عودة متردّدة إلى مدينة هافانا

عمر بقبوق

في العام الماضي، أصدرت كاميلا كابيّو، أغنية Don't go yet، التي كانت أولى عينات ألبومها الذي صدر أخيراً؛ لتبشر هذه الأغنية بعمل حماسي ومثير، ترتقي فيه كابيّو خطوة جديدة في رحلتها للتربع على عرش موسيقى البوب اللاتينية. فهذه المكانة، يتنبأ بها لكابيّو كثير من النقاد والجماهير، الذين يربطون مستقبل موسيقى البوب اللاتينية بنجمة ميامي الأميركية، ذات الأصول الكوبية والمكسيكية المزدوجة. بدت كابيّو بأغنية Don't go yet، وأنها تسير بخطى ثابتة نحو هذه المكانة، لكن عندما استكملت ألبومها الشهر الماضي، الذي حمل اسم Familia، كانت النتيجة مخيبة للآمال.

يضم «فاميليا» 12 أغنية، تفتتحه بقطعة موسيقية معزوفة على الترومبيت، وتختزل روح موسيقى البوب اللاتينية، بأقل من دقيقتين، لتتوالى بعدها أغانٍ تمتزج بها اللغتين الإنكليزية والإسبانية، ليعلو النسق تارةً، وينخفض في لحظات أخرى، في ألبوم تبدو فيه صاحبة أغنية «هافانا» تائهةً تماماً، عاجزة عن تركيب لوحة كاملة فيه، رغم اختيارها لتيمة العائلة عنواناً ومدخلاً لها، ورغم إتاحة بعض المساحات في الألبوم لحضور أفراد من عائلتها الحقيقية للمشاركة فيه، مثل ابنة عمها، كارو، التي لا تزال في الثامنة من عمرها. لكن هذه الزخرفات لم تسعف كابيّو؛ إذ يبدو أنها فشلت بتكوين عمل فني متماسك، عندما اختارت أن تربط أغاني الألبوم بتيمة واحدة، على عكس ما حدث في أعمالها السابقة، التي بدت أكثر تناغماً واتساقاً بغياب التيمة الواحدة. لا تحاول كابيّو أن تخلق مساراً مختلفاً في التيمة الجديدة التي تطرحها في الألبوم، فلا تزال معظم الأغاني تكرر ذات الطروحات السابقة لها؛ فهي تعود لتتحدث عن مدينة هافانا الكوبية التي ولدت بها في أغنية Celia، لكن العاطفة والشغف اللذين كانا موجودين في أغنية «هافانا»، يبدو أنّهما قد ضاعا. وفي أغاني Boys Don't Cry وLa Buena Vida، تتناول الحب بذات المنظور الطفولي الفكاهي، الذي كان يميزها بأغاني Liar و Siniorita، لكن هذه الأغاني تفقد الروح التي تناسبها. فعلياً، إنّ النقطة الأكثر قتامةً في الألبوم، تتعلق بالضعف الذي تبدو عليه كابيّو في الشراكات الفنية التي تعقدها مع الفنانين الآخرين فيه؛ إذ يشارك في الألبوم كل من إيد شيران في أغنية Bam Bam، وتشارك ويلو في أغنية Psychofreak، وتشارك ماريا باسيرا في أغنية Hasta Los Dientes، ويشارك يوتويل في أغنية Lola.

تكرر معظم أغاني الألبوم الطروحات السابقة لإصداراته الأقدم

بزّر بعضهم ضعف الإصدار بمسائل شخصية خاضتها كابيّو (دبرا إل. روثنبرغ / Getty)

في جميع هذه الأغاني، تبدو كابيّو أنّها الحلقة الأضعف والأقل جودة بالأداء والحضور، لتنجح الأصوات الهامشية التي تعبّر بمقاطع محدودة بخطف الأضواء من صاحبة الألبوم، الذي لو لم يكن يحوي أغنية Don't go yet، لكان خالياً من أي بصمة إيجابية؛ فالأغنية المنفردة الأولى، هي النقطة المضيئة الوحيدة، التي عجزت كابيّو عن الوصول إليها بكلّ ما تبعها.

وبالنسبة إلى الجمهور والنقاد المتحمسين للفنانة، فقد حاولوا تبرير الهبوط الحاد في مستواها ببعض المبررات العاطفية المرتبطة بحياة كابيّو الشخصية، من خلال الإضاءة على الفترة الصعبة التي عاشتها في الأشهر الأخيرة، وشهدت انفصالها عن النجم شون مينديز. هذه المبررات، وإن كانت تبرر اختفاء الحس الفكاهي الذي تتمتع به كابيو، والذي لا تزال آخر آثاره موجودة في Don't go yet، وبأغنية Bam Bam بدرجة أقل؛ إلّا أنّه فعلياً لا يبرر إطلاقاً ضعف خيارات المغنية والتراجع الواضح بأدائها.